عرفت الله عندما رأيته في المسيح

نوزاد ومحمود جليلي

قصة ا اهتداء من سلسلة:
«أبناء الشرق يلتقون بالمسيح»

مقدمة ٤
نوزاد المولود الجديد في المسيح ٥
المسابقة ٨
جليلي، رجل الله ٩
المسابقة ١٣

مقدمة

هذه قصة اهتداء مسلم إيراني إلى المسيح، وقد كتبها بنفسه عام ١٩٢٧ باللغة الفارسية، ونُشرت بعنوان «كيف يمكن لكائن بشري أن يتغيَّر». ويسرنا أن نضيف هذه القصة إلى مجموعة القصص التي سبق أن نشرناها عن المهتدين إلى المسيح، من مختلف البلاد الإسلامية.

وكثيراً ما جاء السؤال:«لماذا يصعب ربح المسلمين للمسيح، ولماذا نرى الكنيسة ضعيفة في معظم البلاد الإسلامية؟» وللإجابة على ذلك نقول إن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي جاءت بعد المسيح، والتي تعترف أن المسيحية كانت ديانة عظيمة في وقتها، ويدَّعي أنه صار الدين الحقيقي الوحيد للعالم. ويعتقد المسلمون أن الله واحد، لكنهم يرفضون أن يدعوه «الآب». ويعتقدون أنه أرسل أنبياء كثيرين إلى العالم قدموا للبشر شرائع إلهية وأرشدوه إلى الطريق السوي،وأعظمهم نوح، وإبرهيم، وموسى، والمسيح ومحمد. ويعتقدون أن الله أنزل كتباً لبعض الأنبياء، مثل توراة موسى، وزبور داود، وإنجيل المسيح، لكنهم يعتبرون أن هذه الكتب لم تعُدْ ضرورية بعد أن أعطى الله إعلانه الكامل لمحمد. ويعترف القرآن بولادة المسيح من مريم العذراء، لكنه ينكر بنوَّته الإلهية. ويشير إلى معجزات المسيح في الشفاء. ويعترف المسلمون عامة أن المسيح وُهب قوة من الله لإقامة الموتى. لكن القرآن ينكر موت المسيح على الصليب، ويزعم أن واحداً من أعداء المسيح أو من أصحابه تغيّر بقوة الله إلى شكل المسيح فـــ«شُبِّه لهم» وصُلب خطأً عوضاً عنه. ويقول إن المسيح رُفع حياً إلى السماء حيث هو اليوم. ومن الزعم المسلَّم به عند المسلمين أن المسيح في الإنجيل تنبأ عن مجيء محمد، وأمر أتباعه أن يقبلوه عندما يأتي. ولكن حيث أنه لا توجد إشارة إلى محمد في الكتب المقدسة المسيحية، لذلك يتهم المسلمون المسيحيين بجريمة تحريف كتبهم المقدسة، لأن النبوّات عن مجيء محمد قد حُذفت، وأُضيفت عبارات عن المسيح كابن الله، وعن صلبه وقيامته من الأموات.

وأغلبية المسلمين في بلاد مثل إيران، وإن كانوا يعترفون بالمسيح كنبي صالح وعظيم جداً، إلا أنهم يقولون إن محمداً هو خاتمة الأنبياء وأعظم المرسلين قد أخذ مكانه. ويقولون لا نريد «أن نرجع إلى الوراء» ونصبح أتباع المسيح، بل على عكس ذلك يجب على أتباع المسيح أن يطيعوا أمر سيدهم و«يتقدموا إلى الأمام» ويقبلوا محمداً والقرآن.

والإسلام ليس ديناً فقط بل هو أسلوب حياة، فيه تتوحد كل العناصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية. بل حتى عندما يقتنع مسلم أن المسيح هو المخلص الوحيد يصعب عليه أن يعترف بإيمانه علناً ويقطع علاقته بمجتمعه السابق.

وبالرغم من هذه الصعوبات التي تبدو مستحيلة في اهتداء المسلمين،يوجد مئات كثيرون من أعضاء الكنائس المسيحية في إيران ممكانوا في الأصل مسلمين، أو هم أبناء مسلمين اهتدوا إلى المسيح بنعمة الله وقدرته، وبعضهم يخدمون الكنائس بأمانة كرعاة ومبشرين، وأسقف الكنيسة الأنجليكانية يحتفظ باسمه المسلم للدلالة على أنه من الممكن في إيران أن يعترف المسلم علناً بإيمانه بالمسيح وأن يخدمه بجرأة وشجاعة. لكن الحرية التي ينعمون بها اليوم، شأنها شأن الحرية الدينية في أية بلاد أخرى، لم تأتِ عفواًبدون شجاعة وآلام. فقد استخدم الله شهادةالرجال الأوفياء أمثال «رجبعلي» الذي سمَّى نفسه «نوزاد» (أي مولود جديد) و(محمودجليلي) مع سائرالعوامل الأخرى ليأتي بكثيرين من المسلمين إلى حظيرة المسيح،الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن الخطاة.

وهذا ما نرجوه للقارئ الكريم.

الناشرون

وزاد المولود الجديد في المسيح

في ١٢ فبراير (شباط) عام ١٩٠٥ تعمَّد رجل كان مسلماً من قبل، ولو أنه كان قد آمن بالمسيح قبل ذلك بسنين كثيرة. وتمت حفلة عماده في غرفة الصلاة الصغيرة الملحقة بالكنيسة، واسم الرجل رجب علي. ولم يغيِّر اسمه فلم يُعط له اسم جديد عند عماده، ولكن حدث بعد ذلك ببضع سنين أن طلبتالحكومة الإيرانية من كل رعاياها أن يختاروا لأنفسهم اسماً عائلياً، فاختار رجب اسماً كان ممكناً أن يُمنح له عند عماده. دعا نفسه نوزاد (أي مولود جديد) وصار معروفاً بهذا الاسم في إيران كلها.

وقد كتب عنه القس وليم ويشام الذي يعرفه معرفة جيدة في طهران في مقدمةعن قصة إيمانه، قال: «صار نوزاد مسيحياً منذ ثلاثين سنة، وكان من أوائل المسلمين الذين قبلوا الإنجيل في إيران. وقد تنوعت نواحي حياته فقدكان صانعاً، ووكيلاً، وخادماً في البرلمان أثناء الأيام الصاخبة التي صاحبت الحكومة الدستورية الأولى، ورجل مباحث المدينة، وموظفاًمسؤولاً جديراً بالثقة في الإرسالية المشيخية بطهران. وقد تولى تعليم نفسه بنفسه، ولكنه كان يمتاز بقدرة فذة في حفظ معلوماته،وكان ينفق وقتاً طويلاً في التفكير والتأمل. وبسبب ما اشتهر به من قوة الملاحظة كان يكتب سلسلة مقالات في كثير من المجلات الفارسية عن الأحوال في بلاد الفرس وكانت مقالاته مليئةبالفكاهة والقدح، وأثارت الكثير من التعليقات.

في مدى ثلاثين عاماً من حياته مع المسيح صاغ المسيح بقوته هذا الرجل من جديد، وهو الآن شيخ متقدم في الكنيسة الإيرانية في طهران، وقوته في الصلاة، وحكمته، واستقلاله، وحسن ذوقه، مزايا لا تقدَّر قيمتها في نمو الكنيسة.أما في درس الكتاب فلم يكن ليستعين بشيء يُذكر من التفاسير الثمينة والكتب الروحية التي حصل عليها بوفرة، لكن أفكاره عن المسيحية كانت عجيبة ومتسعة وشاملة. وكانت حياته بلا لوم، وكانت مقدرته الصامتة وتفكيره السليم كلها مثالاً للمبشرين الذين يعمل معهم. وأنا أكتب هذا الآن أثناء قيامنا برحلة تبشيرية معاً لإحدى المدن الإسلامية الصغيرة. وهو رفيق ممتاز في السفر، وقصصه التي لا تنتهي وملاحظاته الحكيمة تملأ ساعات فراغنا اليومي معاً. ولكنك غالباً تراه في أحسن حالاته عندما يقدم إنجيل المسيح للمسلمين الذين لم يسمعوا به من قبل. والمتعصبون الذين جاءوا ليُفحمونا بمجادلاتهم وبراهينهم يجدونه يقضي على تعصبهم بمهارته الفائقة، وسرعان ما يُصغون بانتباه إلى القصة القديمة عن المسيح الذي شهد عنه الأنبياء، وعلّم الحق الروحي الخالد، ومات لأجل خطايانا. وهو يقوم بهذه الأبحاث دائماً بدون خوف ولا وجل، مقدِّماً اعترافه بإيمانه المسيحي الشخصي، مع أن شريعة البلاد تقضي بقتل المرتد عن الإسلام...».

وكتب صديقٌ عنه يقول:«كان نوزاد رجلًا عملياً فوق كل شيء.لم يكن متعلماً بالمعنى الذي نفهمه من هذه الكلمة، لكنه كان عظيم الحكمة، واسع الاختبار، عميق الروحانية. وقد أهَّلته اختباراته أن يكتب كتاباً صار أوسع الكتب مبيعاً وانتشاراً سنين عديدة بين جميع الكتب التي نُشرت باللغة الفارسية. واستخدمه الكثيرون للتعبّد الشخصي والعائلي. ولا يزال يُستخدم إلى اليوم».

وفي عام ١٩٢٧ نشر نوزاد قصة تجديده العجيبة إلى المسيحية باللغة الفارسية،بعنوان «كيف يمكن لكائنٍ بشري أن يتغيَّر؟». وقد طُبع هذا الكتيب خارج إيران، ووُزع في إيران بعناية دقيقة حرصاً على حياة المؤلف وعلى عمل المسيح. وقد بذلنا جهدنا لنجعل ترجمتنا لقصة نوزاد تعكس أفكاره بكلماته وتعبيراته، لا باصطلاحاتنا وتعبيراتنا نحن. لهذا ليسامحنا القراء إذا رأوا بعض الجمل أوالتعبيرات جافة أو غير مستساغة. فقد فعلنا ذلك عمداً.

قال نوزاد: «منذ ثلاثين سنة اجتمع حشدٌ كبير من الناس في آخر يوم من رمضان عند الغروب ليشهدوا ظهور القمر الجديد. فلما أهلّ البدر بطلعته البهية عبّرت الجماهير عن فرحها وطربها، وقام أحدهم في

نشوة بهجته فحمل أحد أصدقائه من خلفه تحت ذراعيه وطوح به حوله. وحدث أن رِجل الصديق صدمت بطن أحد الواقفين، وأصابته بأضرار داخلية خطيرة جعلته يمرض ويلازم الفراش، وثم مات في اليوم الثالث. وبقي من عائلته ولد عمره ثماني سنوات وابنتان عمرهما ٦ و٤ على التوالي، وابنة كانت بعد جنيناً في بطن أمها عمرها ٧ شهور. لم يكن له أي مدخرات، فاضطرت أرملته أن تبيع كل ممتلكات البيت وأن تقتصد أشدّ اقتصاد بل تقتّرحتى تستطيع أن تعول عائلتها إلى أن ينمو ابنها. وظل هذا الابن يغيّر عمله مراراً إلى أن قرر أخيراً أن يصير خادماً، ودخل في زمرة الأشرار.

لا شك أن كل البشر ساقطون، لكن في تلك الأيام كان الخدم طبقة أكثر إجراماً من الجميع. ولا حاجة إلى القول إن الشخص الساقط الذي يعيش في بيئة ساقطة لا يعمل شيئاً سوى التمادي في السقوط والانحطاط. لهذا فإن جرائم هذا الشاب وسقوطه لا يمكن وصفها أو ذكرها. لكنني سأذكرها وعلى سبيل التمهيد أقول إني أنا ذلك الشاب.

لقد كنت غيوراً متعصباً جداً في مراعاة فرائض دين آبائي. كنت أتمم فروض الصلاة في مواعيدها المعينة بدون تقصير ولا إهمال، أتممت فريضة الصوم، وتذكرت الشهداء، وذهبت إلى الحج، وفاق تعصبي كل أقراني، مع ذلك تملكتني الخطية والشرور فأشبعت كل شهواتي. ولو أن قلبي لم يجد إشباعه أو راحته في ذلك، وكان ضميري يبكتني. لكني كنت عبداً للخطية.

بعد وقت تعرَّفت على شخص صار لي صديقاً، وكان متعلّماً ضليعاً لم أجد له مثيلًا إلى اليوم. وكل من عرف هذا الشخص شهد أنه شخص غير عادي. ومع أنه كان أشبه بناسكٍ معتزل، وكان متقاعداً يميل دائماً للاعتزال عن الناس، ظل معلّماً يقصده طلاب كثيرون من عائلات الشرفاء والأرستقراطيين. وكانت فروع العلوم التي علّمها تشمل الطب، والتشريح، والتاريخ والرياضيات، والدين، والفقه، والعقيدة، وما وراء المادة أوالطبيعة، والكيمياء، واللغة الفارسية، واللغة العربية، وفن الكتابة، والمنطق، والفَلك،والجغرافيا. وقد درس ٤٦ سنة، منها ١٢ في كرمنشاه، و١٤ في أحرام ما بين النهرين، و١٠ في أكاديمية العلوم في طهران و١٠ في سيزفاز. ولم يتزوج،ولم يأخذ من مال الدنيا شيئاً سوى غرفة مملوءة بالكتب الفارسية والعربية وكان نحو ٩٥ في المائة منها مكتوبة بخط اليد. سوى ذلك لم يملك شيئاً. وبين الذين كان دائماً يتحدث عنهم باحترام أبو علي وسينا والفقيه الكبير المُلا صدرا. والكتاب الذي فاز باحترامه العظيم هو الإنجيل.

من حديثي معه صرت أعرف شيئاً عن الكون. تعلمت منه علوم الجغرافيا والفلك والطب والتشريح والطبيعيات، واستأثر علم التاريخ باهتمامي بنوع خاص. ولكن في كل مرة تناول الحديث موضوع الدين كنت أراه يتجنّبه ويتظاهر بالجهل ويحاول تغيير الموضوع. وأخيراً واجهته ذات يوم بهذا السؤال: «لماذا تحاول دائماً أن تتجنب الحديث في موضوع الدين؟».

أجاب: «لأني لو أخبرتك بما أعرفه لا تحتمل ولا تطيق أن تسمعه، وإذا أخبرتك بما تريد أن تسمع أناقض اقتناعي».

سمعت منه هذا الجواب مراراً فساءلت نفسي: «ماذا أريد أن أسمع مما يناقض اقتناعه، أو ماذا يريد أن يقول مما لا أطيق سماعه؟» أخيراً قلت له ذات يوم: «أجب يا سيدي على سؤالي ولا تخفِ عني شيئاً مهما يكن الأمر. وأنا أعدك من جانبي أن أسمع لك بكل اهتمام ومع منتهى ضبط النفس».

أجاب: «إن كنت تقدم لي هذا الوعد، فأنا مستعد أن أتكلم. لكني لا أظن أنك تستطيع أن تنفّذ وعدك. لكن مهما كان الأمر أخبرني ما هو سؤالك؟» قلت: «أخبرني من فضلك ما هو دينك، وأي كتاب إلهي تعتقد أنه الكتاب الحقيقي؟».

أجاب: «أنا أؤمن بالله خالق كل العالمين، ولا أجد أية صعوبة في ذلك،لأن هذه الخليقة لا يمكن أن تكون قد وُجدت بدون خالق قدير كائن وموجود منذ الأزل. لكني لا أؤمن بأي شخص ادَّعى أنه نبي غير المسيح. لقد قاومته مراراً فباءت كل جهودي بالفشل. ناقضته لكنه دائماً أثبت أنه لا يُقاوَم ولا يدحض».

لما سمعت جوابه هذا استشاطت نفسي غضباً وتهيج فيّ تعصبي وتمردت أذناي وامتلأت مشاعري بالسخط، لكني ضبطت نفسي ولم أظهر ما يجيش في داخلي،وإنما سألته: «لماذا لا يجذبك الآخرون بينما يجذبك المسيح ويسبي قلبك؟».

أجاب: «لأن الآخرين قاموا بأعمال يمكن (بحسب فكري) أن يقوم بها الحكماء من البشر. أما الأعمال التي فعلها المسيح فليست من عمل إنسان».

سألته: «ما هي أعمال المسيح التي تعتبرها فوق حكمة البشر ولا يمكن أن ترفضها؟».

أجاب: «إنها واسعة النطاق، منها أن الموتى لا يمكن أن ينالوا الحياة بحكمة البشر أو بالأساطير والخرافات أو بأية وسيلة أخرى غير قوة الله».

قلت: «ما الأسباب التي تؤسس عليها اعتقادك، أو كيف تعرف أن هذه الأشياء حقيقية؟ هل عندك أدلة تؤيد بها اعتقادك؟».

أجاب: «لو كان هناك إنجيل واحد ربما كان يتسرب إليّ الشك. لكن توجد أربعة أناجيل، أو أربع نسخ للإنجيل، كل منها يختلف عن الآخر. وواضح أنه قد كتب هذه الأناجيل الأربعة أربعة أشخاص مختلفون، وواضح أيضاً أن هذه الأناجيل لم تُكتب في وقت واحد ولا في مكان واحد. ومع هذه الاختلافات الظاهرة فإن الحق، والمعنى، والمحتويات كلها متشابهة بل كلها واحد ... في كل إنجيل من الأناجيل الأربعة تُذكر معجزات المسيح بتطويل. وهذا دليل على صحة هذا الكتاب. إن أعمال المسيح منتشرة ومعروفة بوجه عام جيد المعرفة عند الجميع، ونجد الناس اليوم في إيران والجزيرة العربية وأفغانستان وتركستان ومصر وسوريا وحتى في بعض بلدان أفريقيا يعرفونها، حتى أنك إذا سألت طبيباً في أي بلدٍ منها: لماذا لم يستطع شفاء هذا المريض أو ذاك، يجيبك:هل أنا يسوع المسيح حتى أستطيع أن أمنح الحياة للأموات؟».

سألته: «ماذا تقول عن موسى وداود وغيرهما؟»

أجاب: «إني مهتم الآن بالدراسةعن يسوع، ويحيّرني في الأمر سؤالان يجب أن أوجّههما لأناسٍ هم حجّة في معرفة الأناجيل. عندما أجد حلًا لهذين السؤالين أصير مسيحياً. يجب على كل مسيحي أن يقبل ويؤمن بأنبياء العهد القديم لأن المسيح قبلهم واعترف بهم».

سألته: «ماذا تقول عن النبي محمد وعن القرآن؟».

فأجاب أنه لا يرى في القرآن شيئاً يبيّن أنه كتاب منزَل، بل أنه يرى فيه أقوالًا منقولة عن التوراة والإنجيل. ومضى يقول كلاماً اعتبرته إنكاراً لتنزيل القرآن الكريم. ومع أني سخطت عليه، وأردت أن أقطع لسانه، أو أنقضّ عليه لأقتله، إلا أني ضبطت نفسي حفظاً لوعدي، وتركته يوالي حديثه لأعرف ما في نفسه حتى أتّخذ موقفي منه، أو أقتله بعد أن أسمع بقية حديثه.ثم قلت له: «يا سيدي وأنت تدرس القرآن بكل عظمته، ألم تجد فيه شيئاً تعترف أنه كلام الله؟ ربما لم تدرسه بعناية كافية».

ابتسم وأجاب: «لقد أنفقت الشطر الأكبر من حياتي أدرس العلوم الإسلامية،وأنا زعيم ديني في الإسلام جدير أن أمارس الفقه والشريعة، فلا يخفى عليّ شيء في القرآن أو الإسلام. وأستطيع أن أتلو من الذاكرة كل ما تريد من آيات القرآن، وأعرف كل أحاديث الشيعة والسنة وآراء قادة المفسرين وما في التفاسير عن هذه الآيات.وأنت تعلم إني لا أقبل شيئاً مطلقاً دون أساس سليم. لقد درست بعمق وتفصيل، ولو كنت قد وجدت شيئاً من الحق في

دراساتي المطولة ما كنت تركت الإسلام. أنا لست مجنوناً، ولست عدواً لخلاصي. ولكن أعلم أن أي شخص عرف عُشر ما عرفته بعمق عن الإسلام يتركه. ما عدا ثلاثة أصناف من الناس يتمسكون به.

الصنف الأول: هم الذين يكتسبون رزقهم ويحصلون على أحوال معيشتهم من ممارسة الفرائض الدينية. والثاني: هم الذين يستخدمون الدين لمآربهم الشخصية وقد وجدوا فيه وسيلة للتقدم والترقي، أو أملاً في الحصول على ذلك. والثالث: هم العامة الذين لا معرفة لهم، ويقبلون باحترام كل ما يسمعونه في بيئتهم دون برهان ولا سؤال. ولولا هؤلاء الأصناف الثلاثة ما عاش الإسلام.

واسترسل في طعنه في القرآن الشريف وفي رسول الله العظيم بكلام لم أعد قادراً أن أسمعه ولا أن أحتمله. ولا أستطيع أن أصف ما حدث لي وأنا أسمع هذا الكلام، لكني اعتبرت أن من واجبي أن أقتل ذلك الرجل ... ضاع مني النوم وزهدت الطعام ولم أجد الراحة. لقد ظللت كالمجنون أبحث ليلًا ونهاراً عن الجواب، وعن وسيلة للانتقام منه. ولم أستطع أن أجد راحة لأني كنت واثقاً أن كل ما قاله كان سباً وتجديفاً، ولا شيء فيه من الحقيقة إطلاقاً، لأني كنت أعلم أن محمداً والقرآن بريئان لا لوم ولا عيب ولا نقص فيهما. لذلك انضممت إلى رجال الدين وصممت على الكفاح والبحث لتقصّي الحقيقة وتأكيدها.

وبعد سنتين أصبحت على يقين أن العبارات التي قالها لي ذلك الرجل الحكيم لم تكن للإهانة ولا للإساءة، بل كانت كلها حقيقية. وكل ما وصلت إليه السلطات الدينية هو وضع ستار عليها، وكانت التفاسير حسب نظريات واضعيها تشير إلى اتفاقهم مع الحقائق التي نطق بها ذلك الرجل الحكيم في عباراته.

أخيراً انطفأ سراج الإسلام في قلبي رغم كل محاولاتي لتحسين زيته وتنظيف فتيلته. يئستُ من كل الناس ومن كل شيء، ولم أعد أثق في شيء، وصرت أنظر إلى الكون كما لو كان بلا عقل ولا معنى. وحسبت في فكري أن جميع الأنبياء مُضِلّون، وكل الكتب المقدسة مجرد قصاصات من الورق. ونظرت إلى خلق البشر كأنه نزوة من نزوات الطبيعة. وقلت في نفسي: ما حياة الإنسان إلا عدد من نبضات القلب سرعان ما تنتهي، وإن الإنسان إنما يعيش في حالة زوال، ولا شيء في الدنيا سوى ظلام أبدي، وسوف تزول البشرية وتفنى.

رأيت العالم كسِجن لا شيء فيه يُحَب. لا شيء يشبعني! نظرت إلى العالم كمهزلة أو لعبة. ومرت كل لحظة من حياتي كظلام دامس وكابوس مريع.

ولم أعد أتوقع سوى الموت فقط لينقذني من مخالب الكون، وأغوص في هاوية الفناء. وكنت أطوي الليل حتى أصل إلى النهار والنهار إلى الليل ساخطاً على الحياة، فلم أكن راضياً بشيء فيها، وقلت: «ليتني أستطيع أن أمضي من هذا العالم الذي لا سيد له».

وذات يوم خطر ببالي أن أتكلم قليلًا مع أحدالكهنة المسيحيين، لأرى ماذا يقول. ولو أني كنت واثقاً أنه لا يوجد إنسان في العالم يستطيع أن يقنعني. وإذ لم أكن أعرف أحداً من الكهنة ظللت أبحث حتى وجدت رجلًا مسيحياً مثقفاً كان يسكن في بيت على طرف المدينة. ولم يكن حول بيته سوى أرض فضاء لا مساكن فيها.فذهبت إلى بيته ثلاث مرات، وقضيت في كل مرة ساعات أتحدث معه وأباحثه،لكني لم أفهم معنى أي شيء قاله.وفي المرة الرابعة، التي كانت زيارتي الأخيرة له، قال:«كما أن الملاريا منتشرة في العالم وعلاجها الوحيد هو الكينين، هكذا الخطية داءٌ أصاب كل البشر، ودواؤه الوحيد هو الإنجيل. ولكل واحد أن يختار هل يقبله أم يرفضه». وكان هذا نهاية حديثنا.

انطلق مدفع الظهر عندما وقفت وانصرفت من البيت، وما أسوأ حالة الحزن والخيبة واليأس التي تسلطت عليّ وقتئذ. ولم أر شيئاً لما خرجت من باب بيته سوى أرض قفراء وبعض أسوار قليلة من الطين. لم يكن هناك أي شيء ولا أي شخص، فجعلت أجول وحيداً منفرداً في ذلك المكان الموحش. وفي حالة تشتت تام رفعت يديّ وقلت: «اللهم إن كنت موجوداً، والمسيح هو من عندك، والإنجيل هو العلاج الوحيد لداء العالم، أرشدني أنت لأني في حيرة شديدة. وإن لم تكن موجوداً فها أنا قد قلت كلمتي في الهواء».

فجأة رأيت فوق رأسي صورتين روحيتين يشبه منظرهما وثيابهما لون الجو،وقالا بصوت مسموع: «الله موجود، ويسوع حقيقي. اطمئن وتأكد من ذلك، وتعال». وفي الحال اختفيا.

ذُعرت من هذه الرؤيا وهذا الصوت، واستولى الرعب الشديد عليّ، وفي الحال ابتل كل جسمي بالعرق. وبالرغم من شدة حر الظهيرة اعتراني برد شديد مع صرير الأسنان، فأسرعت أركض حتى وصلت إلى جزء من مباني المدينة حيث كان الناس يغدون ويروحون. فلما رأت عيناي بعض الناس فارقني الرعب والذعر. لكن بسبب ما رأيت وسمعت شعرت عن يقين تام أني لم أعُد بعد كما كنت من قبل، وضاع مني فوراً كل غم وحزن وحقد وخيبة أمل ويأس. وعوضاً عن ذلك امتلأتُ بسعادة جديدة وفرح فياض وسلام عميق. ورأيت نفسي إنساناً جديداً، أمتلك حياة جديدة.

رغبت أن أسترشد بالإنجيل. ولما أقول الإنجيل لم يعد هو الإنجيل الذي قرأته من قبل، ولو أنه كان نفس الكتاب. لكني وجدت في قراءته لذةً لا تعادلها لذة، وكلما قرأت آياته جلبت لقلبي مزيداً من فرح فوق فرح، وغبطة فوق غبطة. وبدا لي كأن كل آياته كُتبت لسد حاجاتي وإشباع رغباتي وأفكاري ويقيني. وكنت دائماً أقول لنفسي: هذا هو الإنجيل نفسه الذي قرأته من قبل، فلماذا كان بالأمس كتاباً معيباً، فأصبح اليوم كتاباً آخر؟ وبالاختصار قرأت الإنجيل أربعة أيام وأربع ليالٍ بأشد اجتهاد. والجزء الوحيد الذي لم أستطع أن أفهمه هو سفر رؤيا يوحنا.

بعد أن قرأت الإنجيل كله بكل اجتهاد بدأت أقرأ التوراة. كنت قد وجدتها من قبل محيطاً زاخراً من الأسئلة التي لا أجد لها جواباً. ولكني استطعت الآن أن أراها واضحةً، وصرت سعيداً مغتبطاً بقراءتها.ومنذ ذلك اليوم أصبح الكتاب المقدس ولايزال كنزي وثروتي ومكتبتي وتسليتي وفرحي وعلاج يأسي وآلامي الروحية وحل كل صعوباتي ومشاكلي. بل أصبح رجائي، وفخري، وحياتي، وثقة قلبي، وخلاصي، وإيماني ويقيني التام. إن ملكي وربي هو يسوع المسيح الذي صُلب ودُفن وقام في اليوم الثالث، والآن يجلس عن يمين الله وله السلطان، وهو الذي كان والكائن والذي سيكون من الأزل وإلى الأبد. له المجد والقوة والقدرة.وهذه النعمة والمحبة والعطف وهبات الرحمة التي تفوق كل تصور أو إدراك أوتفسير أو فهم بشري إنما هي كلها صادرة من الله خالق الكل، والذي هو فوق الكل وهبها للبشر غير المستحقين، غير الجديرين الساقطين وغير المستأهلين. فالمجد والكرامة والإجلال لاسمه المبارك!

بعد ذلك صرت أتمنى أن أتعرَّف إلى زملائي المؤمنين. وظللت أبحث حتى وجدت المكان الذي كان يجتمع فيه المسيحيون الإنجيليون للعبادة. وكان عملي يمنعني من الحضور معهم كل يوم أحد لأني كنت وكيلًا لشخص ألقى علىعاتقي مسؤولية عمله كلها، أي كل أعماله، وكل قراه وضياعه، وكل أراضيه وممتلكاته، بما فيها من بيع وشراء وإشراف على بيته، وفي الواقع كنت أقوم مقامه في كل شيء. مع كل هذه المسؤوليات بذلت أقصى ما في وسعي لحضور اجتماعات الكنيسة. وكنت أحضر غالباً معظم أيام الآحاد. وأصبح سيدي وأبناؤه وزوجاته وكل المستخدمين يعرفون أني مسيحي. ومراراً كثيرة كنت أقرأ الكتاب المقدس لسيدي. فكان يتقبل ذلك بشيء من الرضى ولو أنه لم يكن مسيحياً، ولم يظهر أي اعتراض أو مناقضة.

وهنا أراه ضرورياً أن أذكر كلمة عن صديقي

العزيز الذي كان أول من وجَّه نظري إلى حق المسيحية وإلى طبيعة الإسلام. وفي الوقت الذي فيه ذهبت إلى العراق لمأمورية تختص بعملي كتب لي يخبرني أنه مريض وقال: «إن كنتَ لاتراني مرة أخرى فاعلم أن السؤالين قد اتضحا الآن أمامي بعد أن صرت مسيحياً».ولما رجعت إلى طهران بعد سبعة شهور وجدت أنه قد مات.

والاختبارات التي حدثت لي كثيرة ومتنوعة. أما بعضها فلم أذكره من قبل ولن أذكره لمخلوق بشري مطلقاً. أما اختباراتي الأخرى فإنها مطولة جداً لا سيما مع التفاصيل المتعلقة بها. لذلك أكتفي هنا أن أذكر باختصار طائفة ثالثة من هذه الاختبارات.

في ذلك الوقت كان حاكم إيران هو مظفر الدين شاه، وكان يليه في المنصب ميرزا علي أخبار خان عتابغ الكبير. وقام أحد خدام عتابغ الكبير بالاستيلاء على بعض ممتلكات أختي. وكنت باعتباري أحد المستخدمين عند عتابغ لا أستطيع أن أقاضيه، كما أن الحكومة والمحاكم كان لا بد أن تؤيّده هو. وذات يوم قالت لي أختي: «هذا الرجل قوي وأنا ضعيفة. هل هناك سبيل لخروجي من مأزقي، أم هل عليّ أن أموت في يأسي؟» فلم أستطع أن أجيب إلا بأن أطأطئ رأسي خجلاً.

في تلك اللحظة خطر ببالي خاطر وأظنه ممتاز، وهو أن أذهب إلى الكنيسة لأصلي. وذهبت يوم الأحد إلى الكنيسة، وبعد العظة صليت سراً في قلبي وقلت: «يا يسوع المسيح، أنت تعلم أن أختي ليس لها أحد يعينها سواي. وأنا لا أستطيع أن أقاوم هذا الخصم القوي، لهذا أسلّم هذا الموضوع لك وأنت تعمل الأفضل».

بعد أن قدَّمت هذه الصلاة ذهبت إلى بيت مخدومي. وفي يوم الأحد هذا بالذات وجدت أن خادم عتابغ قد حمل كل ممتلكات أختي على ظهور الحمالين وسلّمها لها. وعلمت بعد ذلك أنه قال لزوجته: «إذا بقيت هذه الأشياء في بيتي الليلة فلا بد أن أحرقها». وقد أثّرت نتيجة استجابة هذه الصلاة فيَّ تأثيراً جعلني أخجل أمام المسيح، لأنه أخرجني بسرعة مدهشة من المأزق الشديد الذي كنت فيه.

بعد ذلك بوقت قصير، وأنا ساكن مع أختي في نفس البيت أصاب طفلها (وكان عمره خمسة عشر شهراً) انتفاخ أو ورم كبير جداً في حنجرته، وظل الورم يكبرحتى صار في حجم يد ذلك الطفل. وكلما زاد حجمه زادت قساوته. وكل علاج وصفه الطبيب لم ينفع. وساءت حالة الطفل واشتد عليه الألم حتى لم يستطع أن يحرك جسمه. وذات يوم قيل لي إن تلك الليلة ستكون آخر ليلة للطفل، لأنه لم يأكل ولم يتحرك منذ أربعة أيام، ولاتبدو أية علامة تدل على تخفيف أو تحسين حالة الورم.

أنهيت عملي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وعدت إلى بيتي وسألت عن حالة الطفل، فأخبروني أنها كما هي لم تتغير. دخلت الغرفة بكل هدوء، ووقفت بجانب سرير الطفل ولمست الورم في عدة مواضع فوجدته قاسياً مثل سفرجلة خضراء. وفتح الطفل عينيه ببطء ونظر إليّ، ثم أغمضهما. انزعجت جداً وغشيني عطف ورثاء عليه، وشعرت مع الرسول بولس وهو يقول: «أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم» (٢ كورنثوس ١٢:٢). وخرجَت من فمي هذه الكلمات عفواً «أيها الألم، أنا آمرك باسم يسوع أن تخرج من جسد هذا الطفل في مثل هذه الساعة الليلة القادمة». ثم تنفست على وجه الطفل.

بعد أن نطقت بهذه الكلمات انتابني ضعف شديد فتحاملت على نفسي وذهبت إلى جانب من الغرفة وجلست. وشعرت بصوت حركة، ففتحت عينيَّ ورأيت الطفل يقوم من مكانه ويحبو متجهاً نحوي. فأخذته في الحال بين ذراعي ودعوت أمه لتعطيه قدحاً من اللبن. وكنت مذهولًا والطفل يشرب اللبن ويبتسم. وكلما مسسنا أو ضغطنا على مكان الورم كنا كأننا نضغط على ثيابه ،فلم يشعر بألم. ومرت تلك الليلة ونحن في أشد سرور، واستيقظت مبكراً في الصباح وذهبت إلى عملي. وبعد أن حل الليل بنحو ساعة أنهيت أعمالي وسرت في طريقي نحو بيتي وأنا واثق أن المرض قد فارق الطفل. ولما دخلت البيت نظرت إلى الطفل وإذا الورم الذي كان في حجم الليمونة قد زال. وقالت أمي إن الورم قد انفجر من تلقاء ذاته وخرجت منه كمية كبيرة من الصديد، وكان الطفل يلعب وقد التأم الجرح بسرعة، ولم يبق شيء تراه العين سوى بقعة صغيرة تدل على مكانه.

وأروي اختباراً ثانياً: كان لي زميل في العمل ينافسني وينتهز كل فرصة ليسيء إليَّ. وبعد عام واحد سنحت لي الفرصة أن أنتقم منه وأجازيه عن كل إساءاته. ورغم أنه جرح قلبي بتصرفاته أظهرتُ له نية حسنة. وقال لي أصدقائي: «هذا يوم الانتقام فاعمل به ما تشاء». لكني قلت: «إن النقمة لله، وكتابي يعلّمني أن لا أجازي الشر بالشر، إنما أنا سلّمت أمري لله، ولن أفعل معه شيئاً سوى أن أُظهر له النية الحسنة». ومضت عدة شهور، بعدها ذهب هذا الزميل إلى فراشه ذات ليلة لينام، وكان في تمام الصحة، واستيقظ في الصباح وإذا به مصاب بشلل نصفي. ولما علمت أن نصف جسمه قد أصابه الشلل تألمت جداً أني سلمته أو شكوته لله ،بينما كان واجبي أن أسامحه. وقد ندمت وتبت مراراً كثيرة عن هذا الإهمال، لأن المسيحي يجب أن يصفح ويسامح من كل قلبه.

إن ذكريات تلك الأيام باقية تجول في خاطري وكلٌ منها يلعب دوراً في عجَلة إيماني تزيده قوة وصلابة. ولولا أن هذه الحوادث الفائقة الطبيعة وغير المألوفة قد أظهرت لي بيد غير منظورة ربما كان فضولي الطبيعي قد قبل تعاليم العلماء الذين يشددون على أن العالم كله من صنع الطبيعة، أو مجرد حادث طارئ، أو تطور طبيعي! أما الآن فإن جوابي على آلاف من هذه النظريات والفلسفات هو جواب إيماني: «لقد عرفت الله بواسطة الله نفسه، وأنا أعلم أنه موجود وحاضر دائماً فيكل مكان، يراني كل حين ويعرف ويسمع ويقبل أي شخص يأتي إليه، أيا كَان وأينما كان». أنا أعلم هذا لأني إنسان بشري، وأكثر الناس اعوجاجاً، وأحقرهم وأقلهم استحقاقاً. أنا أشرّ الخطاة وأجدرهم بالهلاك، ورغم هذا كله قبلني الله في شركته بيسوع المسيح.

فوق ذلك أقرر عن اختبارٍ أن خدمة المسيح تجعل الشخص قوياً كارهاً لعمل الشر ميالًا للأعمال الحسنة، فالمسيحي لا يضمر الشر لأحد، لكنه يعطف على كل واحد.

إن الأمانة والإخلاص والاعتماد على الله والشكر كلها بعض الواجبات التيبرى المسيحي أنه لا مفر منها، فهو يعيش في شركة مع اللهويطلب دائماً أن يفعل ما يرضيه، وتراه راغباً ومستعداً أن يساعد الآخرين. إنالمسيحي لا يكتفي بأن يعرف ما هو الخير وماهو الشر، بل يسعى دائماً أن يتركالشر ويفعل الخير، ويجب أن يثبت إيمانه بأعماله وأعماله بإيمانهحتى تؤول تصرفاته لمجد الله أمام الآخرين. لذلك أرفع صوتي وأقول: «ياإخوتي وزملائي بني الإنسان، ها هو خلاص الله أمامكم مجاناً كما أنهأبدي! لا تبيعوه بثمن بخس. لا تفرطوا فيه بسبب الأمور الدنيوية. لا تهملوه.إن الحياة تسرع إلى مقر راحتها الأخير كحمامة تطير بجناحين سريعين،وعشها قد أُعد إما في مخلب صقر الهلاك أو في محفل أحباب الله في حضرةالمسيح.وقد وضع الله الاختيار في هذا الأمر بين أيدينا في دائرة جهودنا ومساعينا.سَل نفسك هذا السؤال: أين أنت ذاهب: صوب الموت أم صوب الحياة؟ إنيأقول أمراً واحداً وهو أن ينبوع الخلاص في المسيح وأنت إما أن تقبله أوترفضه. صلاتي إلى الله هو أن يوجه أشعة نوره الكاشف إلى قلبك آمين.

مات رجب علي نوزاد عام ١٩٤٤ واضعاً ثقته في المسيح.

سابقة

إن تعمقت في قراءة هذا الكتاب تستطيع أن تجاوب على الأسئلةبسهولة. ونحن مستعدون أن

نرسل لك أحد كتبنا الروحية جائزة على اجتهادك.
لا تنسَ أن تكتب اسمك وعنوانك كاملاً عند إرسالي إجابتك إلينا.

١ - لماذا طُبع كتاب «كيف يمكن لكائنبشري أن يتغيّر»خارج إيران؟ وماذا كان موضوع الكتاب؟

٢ - لماذا قال الرجل الحكيم إنه لا يؤمن بنبي إلا المسيح؟

٣ - كيف رأى الرجل الحكيم في وجود أربعةأناجيل برهاناًعلى صدقها؟

٤ - من هم الذين لا يتركون الدين الإسلامي؟

٥ - ما هو التشابه الذي قاله القسيس لنوزاد إنه موجود بينالكينينوالإنجيل؟

٦-ما هي الرؤيا التي أعادت لنوزاد سلامه الداخلي؟

٧-اذكر اختباراً في استجابة الصلاة اختبره نوزاد.

أرسل أجوبتك بخط واضح وعنوان كامل إلى:

The Good Way ● P.O.Box 66 ● CH-8486 Rikon SWITZERLAND

سافر ثلاثة أصدقاء من طهران إلى أصفهانلحضور اجتماع مسيحي هناك. وفيماكانوا في تلك المدينة زاروا بعض مبانيها التاريخية الرائعة، وهي المدينةالشهيرة في العالم بمساجدها ومآذنها. وحيث أن أهل الشيعة المسلمينيعتبرون غير المسلمين نجسين، كان يتعذر عادة على شخص مسيحي أن يدخلأي مسجد في إيران. إلا أن بعض المساجد الإسلامية البديعة في أصفهانأصبحت لا تُستخدم كدُور للعبادة، بل تحولت إلى أماكن سياحية يُسمح لكلالسائحين من جميع الأديان بدخولها. وهذا أتاح لهؤلاء المسيحيين الثلاثةأن يدخلوا المسجد العظيم، مسجد الشاه. وبعد أن أعجبوا بالتربيعات المغطاةبالقرميد التي أبدعتها أيادي صنّاع مهرةمنذ أكثر من ثلاثة قرون مضت، ساروا إلىنقطة وسطى تحت القبة الضخمة يستمعون إلى الصدى الشهير الصادر منالصوت. وهمس اثنان من هؤلاء الرجال الثلاثة ثم صاحا بصوت عال، ثمأصغيا إلى صوتيهما، والصدى يتردد في أعاليالقبة. أما الرجل الثالث، وكان قصير القامة، فجاءإلى النقطة التييتكلم فيها الناطق، وتطلع إلى القبة الضخمة في أعلى البناء، وصاح بأعلىصوته الرقيق الهادئ قائلًا بكل ما يملك من قوة باللغة الفارسية «يسوع المسيحهو الرب، يسوع المسيح هو الرب».

تُرى من كان ذلك المسيحي الذي أعلن إيمانه جهاراً في مكان تعوَّدأن تتردد فيه شهادة الإسلام وعقيدته ملايينالمرات من ملايين المسلمين، ولم يُسمع فيه قطشهادة عن سيادة الرب يسوع المسيح من قبل؟ لم يكن قسيساً، ولايهودياً متنصراً، بل كان مسلماً صار مسيحياً، اسمه محمود جليلي، كانمنذ سنوات قليلة يردّد بكل قلبه عقيدة الإسلام ويتلو الشهادتين «لا إلهإلا الله محمد رسول الله». فماذا جرى لهحتى تغيَّر من مسلم صميم إلى مسيحيلا يهاب؟

ولد محمود عام ١٨٩٢م في تبريز، وانتقل أبوه مع أسرته إلى طهرانلما كان محمود في السادسة من عمره، وسكنوابها. وكان أبوه وزيراً لزوجة الشاه،فتربى محمود في البلاط الملكي. وبما أنه كان الابن الوحيد تعلق به قلبوالده، فكان يأخذه دائماً إلى جانبه حينما يكون في البيت، كما كانيأخذه معهفي أسفاره العديدة. ولم يرضَ أن يرسله إلى المدرسة بل كان يستحضر لهمدرّسين إلى بلاط الحريم ليعلّموه، فتعلّم اللغات العربية والفارسيةوالفرنسية، وتمتع بما يُعتبر تهذيباً حراً عصرياً يشمل الموسيقى.

ولما صار شاباً يانعاً بدأ يخدم في البلاط الملكي، فأتاح ذلك له فرصةالتعرفعلى وجهاء المملكة وأعيانها. وفي عهد الشاه مظفر الدين شاه (١٨٩٦ – ١٩٠٧) ماتوالد محمود وتعين محمود في وظيفة بوزارة المالية. وفي السنوات الأخيرة منحكم الشاه هذا تمتع الشعب الإيراني باستنارة جعلته يطالب بدستور. ونشأنزاع على السلطة بين المطالبين بالدستور والمتمسكين بالملكية المطلقة.وانحاز الشاب جليلي في هذا النزاع إلى جانب المطالبين بالدستور، وقامبدورٍ فعّال في هذه الثورة التي نجحت، ومنحت إيران لأول مرة دستوراً ومجلساًنيابياً (برلمان). وقد تهلل قلب جليلي بهذا الانتصار. وبنشوة الشباب ظن أنكل مشاكل بلاده المحبوبة، إيران قد حُلت، ولكنه كما ذكر بعد ذلك بأعوام«رأيت أني لا أزال على مسافة أميال عديدة من تحقيق أهدافي ورغباتي».

تزوج جليلي وأصبح أباً لعدد من البنين والبنات، وكان له مركز ممتازفي إدارةصك النقود، وكان يتمتع باحترام أصدقائه ومعارفه. إلا أن هذه فشلت فيإشباع نفسه كما فشل من قبل إصدار الدستور، ولم يحصل على سلام قلبه،ولا على يقين من جهة المستقبل. وزادت آلامه بموت زوجته، وزواجه مرة أخرىبزوجة رُزق منها بثلاثة بنين آخرين. وقد نُقل من إدارة صك النقود إلى وزارةالمالية، حيث مُنح منصباً ممتازاً، لكن كل هذا لم يشبع قلبه ولم يرح نفسه.وذات مرة ذهب مع جماعة من المسلمين المتعبدين إلى مدينة «قم» المقدسة، حيثقضوا أياماً في الصلاة والصوم. ومراراً وهو في طهران كان يستيقظ مبكراًويترك بيته في جيليباد (التي سُميت باسم والده)ويخرج إلى خارج المدينة وينفرد في البرية مصلياً إلى الله أن يهديه ويمدَّه بماينقصه في حياته، أياً كان. ومرت أعوام على هذا المنوال.

أخيراً خطر ببال جليلي أن حاجته الماسة ربما تكمن في اكتسابه تهذيباًعصرياًأكثر، فرأى أن يتعلم اللغة الإنكليزية، ويدرس كتباً جديدة، ويختلط مع أناسمثقَّفين، عسى أن يجد في ذلك معنى أهم للحياة. وبعد البحث وجد معلماً للغةالإنكليزية كان مستعداً أن يأتي إلى بيته ويعطيه بعض الدروس الخصوصية.وكان هذا المعلم طالباً بمدرسة المرسلية المشيخية في طهران، واسمه أحمد، هوابن أخت نوزاد. وكان أحمد قد صار مسيحياً عن طريق خاله ولم يكن جليلييعرف ذلك. وكان أحمد مؤدباً صادقاً ولطيفاً، كما كان معلماً ممتازاً.ولم يمض وقتيُذكر حتى استطاع جليلي أن يتكلم وأن يقرأبهذه اللغة الأجنبية الصعبة، التيأتقنها أحمد خير إتقان في مدرسة الإرسالية.

كان «جاهانفر» أصغر أبناء جليلي من زوجته الأولى، وكان والده يحبهحباًجماً. وإذ رأى الوالد في ما اكتسبه أحمد من تهذيبعلى يد الدكتور جونسون وزملائه فيكلية البورتز، تاقت نفسه أن يحصل ولده «جاهانفر» على مثل هذا التهذيب،فأرسل ابنه هذا في الوقت المناسب إلى المدرسة المسيحية، حيث تعلمالإنكليزية وتعرَّف شخصياً إلى يسوع المسيح، لكنه لم يخبر والده أنه صارمسيحياً.

وفي نوفمبر (ت٢) عام ١٩٣٠ قامت الكنيسة الإنجيلية الصغيرة فيطهران بعملٍ لم يسبق له مثيل في إيران، إذعقدت اجتماعات كرازية كل ليلة لمدةأسبوع هدفها تقديم المسيح للمسلمين في المدينة.وخشي البعض أن هذه المحاولة الجريئة التي تهدف إلى تجديد المسلمين فيبلادٍ دينها الرسمي الإسلام قد تضر أكثر مما تفيد، بل قد ينجم عنها طردالمرسلين، لكن الكنيسة صممت على ذلك بإيمان وثقة. وطبعت بطاقاتالدعوة، وأرسلتها للناس تدعوهم لحضور سلسلة خطابات في الكنيسةيقدمها واعظ مشهور من خارج المدينة، ورُفعتصلوات كثيرة. وعُقدت الاجتماعات فيوقتها، وازدحمت قاعة الكنيسة كل ليلة بالسامعين المتلهّفين مسيحيين وغيرمسيحيين. ولم تحدث مقاومة تُذكر.

لما عاد «جاهانفر جليلي» من المدرسة إلى البيت ذات يوم أحضر بطاقةالدعوةوقال لوالده: «بابا، إن الدكتور جونسون رئيس المدرسة يبعث إليك بهذه البطاقةمع أطيب تحياته، ويدعوك أن تذهب الليلة إلى الكنيسة لتسمع خطاباً». ولميكن جليلي قد حضر اجتماعاً في كنيسةٍ منقبل، لكنه كثيراً ما تردد على أماكنأخرى يستمع إلى محاضرات مختلفة ليزيد معلوماته. ولكن حيث أن الدكتورجونسون الشهير قد دعاه، وحيث أن ابنه يريدهأن يحضر، قبِل الدعوة وذهبفي تلك الليلة مع ابنه جاهانفر إلى الكنيسة.وكان جليلي ينتظر أن يسمع محاضرة عن موضوع دنيوي.

لما دخل جليلي قاعة الكنيسة الغاصة بالحاضرين وتلفت إليهم شعر أنهأرفعمنهم. أليس هو الذي تربَّى في بلاط الشاه؟ ثم جلس هو وابنه وسط الجمهوروبدأ الاجتماع. وسرعان ما أدرك جليلي أن هذا ليس الاجتماع الذي يليق به أنيحضره. هذا اجتماع ديني! صحيح أنه سُرّ من الترنيم،لكن لما حاول أن يتتبّع الألحان لميلازمه النجاح. وهدأت نفسه من الصلوات التي رُفعت، خاصة أنهالم تكن باللغةالعربية كما في الصلوات والعبادة الإسلامية، بل بالفارسية. ثم بدأ الخطاب.وتكلم الخطيب عن آدم أب الجنس البشري، وكيف عصى الله فجَرَّ نفسه،وكل الجنس البشري معه إلى الخطية وإلى الموت. ثم تكلم عن وعدالله بمجيء مخلّص يولد من

امرأة ويسحق الشيطان، ومضى يوضح كيف جاءالمخلص ووُلد من مريم العذراء ومات على الصليب وقام من الأموات لينقذ البشرمن الخطية ومن الموت. وختم بدعوة السامعين أن يؤمنوا بيسوع المسيحفيخلصوا.

إذ كان جليلي يصغي إلى الرسالة مسَّت أعماق قلبه.وقال فيما بعد: «مرَّتكل حوادث حياتي أمام عيني كما لو كانت على شاشة بصورة متحركة، وإذتأملت في أعمالي الماضية رأيت نفسي شخصاً محكوماً عليه. لقد كنت مثل رجلأعمى، فلما فُتحت عيناي رأيت قذارة حياتي». لقد عاش جليلي من قبل حياةًفاضلة، وكان يُعتبر أحسن من كثيرين من الناس، لكن الله فتح عينيه فجأة،فرأى نفسه لأول مرة كما يراها الله. رأى أنه خاطئ يحتاج إلىمخلّص، وسمع وقبل دعوة المخلّص وهو يقول: «تعالوا إليَّ وأنا أريحكم».

انتهى الاجتماع وانصرف الجمع الحاشد من الناس، ولكن بقي عددمن الحاضرين كانوا يريدون أن يتعلموا أكثر عن المسيح. وكان بينهم جليليوابنه. وأوضح المتكلم لهؤلاء الراغبين أنه كما يذهب المريض إلى طبيب يثقفيه، ويسلّم نفسه له ليعتني به، كذلك نحن المرضى بمرض مميت هو الخطيةعلينا أن نأتي إلى الطبيب الأعظم يسوع المسيح الذي أحبنا ومات لأجلنا،وغلب الموت، وهو حي معنا اليوم. إنه مستعد أن يقبل ويسامح ويخلّص كلالذين يثقون به. وسأل المتكلم: من يريد أن يأتي إلى المسيح المخلّص؟فوقف عدد من الناس وتكلموا، وكان بينهمجليلي وابنه جاهانفر. وقال جليليبصوت مرتعش: «لما دخلت هذه القاعة ظننت أني أفضل إنسان هنا، لكنيالآن أعلم أنه لا يوجد في هذا الاجتماع خاطئ أكبر مني. أنا أؤمن بيسوعالمسيح وأتّخذه مخلصاً لي وأتبعه كل أيام حياتي».

وقال جليلي بعد ذلك بمدة طويلة: «لست أعلم كيف استطعتُ أن أقف أمامهؤلاء الناس وأعترف أني إنسان رديء، لأني حاولت من قبل أن أجعل الناسيعتقدون أني رجل صالح. حقاً لقد رفعَتني قوة غير منظورة وأقامتني على رجليَّومكّنتني أن أعترف بخطاياي، فلما فعلت ذلك اختبرت في تلك اللحظة فرحاًعميقاً سَرى في نفسي، كما لو كنتُ قد تخلّصتمن حمل ثقيل، وشعرت أني لم أعدذلك الإنسان الأول، بل صرت إنساناً جديداً. لقد وُلدت ثانية في تلك الليلة!صار القلب المضطرب مطمئناً هادئاً، وتغيّر اعتدادي بنفسي إلى التواضع،وتحولت العداوة إلى محبة وصداقة، وصرت مشتاقاً أن أتقرَّب من الناس بعد أنكنت أتجنَّبهم. وأصبح العالم بالنسبة لي شيئاً جديداً، إذ وجدت ما كنتأطلبه منذ وقت طويل».

لما عاد الوالد وابنه إلى البيت لاحظت زوجته تغييراً جديداً علىوجه زوجها فسألته: «لماذا أنت مغتبط ومسرور الليلة؟ هل أنت سكران؟».

أجاب جليلي: «كلا. أنت تعلمين أني لا أشرب، لكني قد أصبحت مسيحياً!».

سُرّ «جاهانفر» أشد السرور بقرار والده،لكن سائر أفراد العائلة لم يُسرّوا، إذشعروا أن جليلي قد جلب عاراً عليهم، بهجره دين الوطن، واعتناقه دينالأجانب. واحتمل الوالد تعييراتهم بصبر وتواضع، وانتصرت محبة المسيح، فقدحدث بعد ذلك أن زوجته والشباب في عائلته صاروا مسيحيين.

وقد كتبأحدهم وصفاً للاجتماعات التي تجدد فيها جليلي وغيرهقال: «كانت هذه الاجتماعات للرجال والنساء على السواء ولكن زاد عددالحاضرين من الرجال زيادة كبيرة عن عدد النساء إلا في مساء الأربعاء حينكان الاجتماع قاصراً على النساء... وقُدمت الدعوة عن طريق بطاقات صغيرةمطبوعة كان على الراغب أن يملأ خاناتها ويؤرّخها بيده. وقد وُزع من هذهالبطاقات ثلاثة آلاف في خلال الأسبوع، وكانت الاجتماعات مزدحمة يحضرهاحوالي ٢٠٠ – ٢٥٠ كل ليلة. ومع أن معظم الحاضرين كانوا مسلمين، فلم يُذكرالإسلام في المواعظ، كما لو كان الواعظ يتكلم لكنيسة مزدحمة فيأمريكا. وكان الواعظ يكرر أننا كلنا نحتاج إلى مخلّصمن الخطية وإلى قوة تجعلنا نحياحياة الطهارة والمحبة. وكان التأثير بالغاً وبدا كأن الناس كانوا ينتظرونهذه الفرصة بشغف. وطُلب من كل من يريد أن يعرف أكثر عن المسيح أو ينالهذه الحياة الجديدة أن ينتظر بعد الاجتماع، فاستجاب للدعوة نحو ثلاثين أوأربعين كل ليلة، وفي حضور مثل هذا العدد الكبير صرح الكثيرون أنهميريدون أن يصيروا مسيحيين، وقبلوا المسيح، أو طلبوا الصلاة من أجلهم. وفينهاية الاجتماعات الثمانية أعلن ستون شخصاً رغبتهم في أن يصيروا مسيحيين،ومعظمهم من الشباب، ومنهم عشرون من كلية الإرسالية، ونحو هذا العدد منالمدرسة اليهودية (التابعة للكنيسة الإنجليكانية) والبقية من الخارج ...ولكن للأسف نقول إن كثيرينمن هؤلاء الستين الذين بدأوا الحياة الجديدة بحماس كانوا كالبذار الذيسقط على الطريق. أما جليلي فلم يكن كذلك.

عندما يكون الإنسان في بيئة معادية، لا سيما في بلاد إسلامية، تشتدالتجربةعلى المؤمنين بالمسيح أن يحتفظوا بإيمانهم لأنفسهم «وأن يضعوا سراجهمتحت المكيال» حتى لا يجلبوا مصائب على أنفسهم أو عائلاتهم. أما جليليفلم يستطع أن يسكت، كما لم يستطع تلاميذالمسيح في أورشليم أن يسكتواعندما أمرهم رؤساء اليهود بعدم الكرازة. في اليوم التالي للقرار العظيم الذياتخذه جليلي ذهب إلى مكتبه وأخبر أصدقاءه أنه قد صار مسيحياً ودعاهم إلى بيته ليخبرهم لماذا فعل ذلك. وجاءوا ذات ليلة كجماعة فقدم لهم شهادته عنخلاص المسيح. وقد تأثر بعضهم وقاومه البعض الآخر. وسرعان ما اعتاد علىأن ينحني لحظات للصلاة كلما جلس إلى مكتبه كل صباح، فكان المغتاظونمنه ينتهزون الفرص لينادوه ويزعجوه حتى يقطعوا عليه الصلاة. وقد احتمل بصبرهذه الاضطهادات التافهة لأجل المسيح. لكن رؤساءه بوزارة المالية لم يهددوهبالطرد بسبب تركه الإسلام، لأنهم كانوا في حاجة إلى شخص يُعتمد عليهمثل جليلي فاحتفظوا به في وظيفته.

بعد أن تجدد جليلي بدأ يدرس العهد الجديد، ولم تكن له معرفة سابقةبه،ولكنه صار موضوع بهجته أن يتأمل في كلمة الله. وبعد تسعة شهور تعهد هووشخصان آخران اهتديا من الإسلام إلى المسيحية، وكان عمادهم في ٢٧أغسطس (آب) عام ١٩٣١ في مؤتمر عقد بطهران حضره أعضاء من الكنائسالإنجليكانية والمشيخية في إيران. بعد ذلك بوقت قصير كوّن هؤلاء المؤمنونالثلاثة رابطة أخوّة صغيرة لتقوية إيمانهم ولتقديم أخبار الخلاص السارةللآخرين. وكانوا يدعون أصدقاءهم مرة كل أسبوع في مساء أيام الاثنين إلىبيت جليلي، وكان بما اشتهر به الإيرانيون من كرم الضيافة يجهز لهم الشاييبيده ويقدمه لهم. ثم يقرأ لهم من الكتاب المقدس ويخبرهم بما فعله المسيح له،وما يمكن أن يفعله لهم هم أيضاً، إذا آمنوا بهواتّخذوه مخلّصاً لهم. وظلت هذهالاجتماعات تُعقد في بيت جليلي ٣٥ عاماً في أثنائها التقى كثيرون بالمسيحوجهاً لوجه.

كان الروح في هذه الاجتماعات غير الرسمية روح المودة والصداقةالدافئة، لأنجليلي كان يتوق أن يكرز لهم بالمسيح، لا أن يهاجم الإسلام. ولكنحدثت فترات فيها اقتحم الأعداء بيته وعملوا كل ما في استطاعتهم حتى يمنعوالاجتماعات، وحدث مرة عندما جاء من بيروت الكاتب اللبناني الشهير لطفيلي ونيان ليزوره ويتكلم في الاجتماع أن بعض أعداء الإنجيل القساة تدخلوابفظاظة وجعلوا الموقف حرجاً. وكان حاضراً أحد ضباط الجيشالمسيحيين وهو مصارع ممتاز، فتدخَّل بقوته ونفوذه لحماية الضيف المكرمفلم يلحق به أذى. وصار حارساً له حتى عاد إلى بيته بسلام. ولم ينس الأستاذلي ونيان تلك الليلة في بيت جليلي.

ولما ضاقت الغرفة التي كانت تُعقد بها الاجتماعات عن أن تسع الحاضرين،بذل جليلي تضحية كبرى وبنى غرفة أوسع بنافذة تطل على الشارع حتىيتسنَّى للمارة أن يسمعوا وأن يروا وأن يدخلوا.

ولم يكتف جليلي بدعوة الأصدقاء إلى بيته، بل شرع يذهب إلى الشوارعويحمل الكتب المسيحية والنبذ وأجزاء من الكتاب المقدس مع مؤلفات مسيحيةأخرى ليبيعها، ويدعو من يرغب أن يأتي إلى غرفة القراءة المسيحية وإلىاجتماعات الكنيسة. ويُعتبر بيع الكتب في الشوارع في إيران عملًا حقيراً لايليق أن يقوم به شخص مثقف، لكن جليلي اعتبره شرفاً أن يشهد للمسيحبهذه الطريقة، فمهما قال عنه أصدقاؤه القدامى كان همُّه أن يكون أميناً لصديقهالجديد، يسوع المسيح. وقد انتصر إخلاصه وتواضعهفي تقديم الإنجيل. وفي غالب الأحيان تحوَّل من قاوموه فيالبداءة إلى أصدقاء.

كان يُعقد اجتماع في غرفة القراءة بدار الإرسالية المشيخية كل مساء،يدرس فيه المسيحيون والمسلمون الكتاب المقدس. وكانجليلي يواظب على حضوره، ثم صار فيما بعد قائداً له. وقد وجد فيه فرصة سانحةليخبر الشباب المجتمعين هناك عما عمله المسيح له. وفي هذا الاجتماع الذيدام سنوات عديدة تعرَّف عدد كبير من المسلمين على المسيح المخلّص.

ليس طريق المتجدد سهلًا ناعماً، فلم تخلُ حياة جليلي من المشاكل، فمعأنزوجته صارت مسيحية نشأت مشكلة قادت جليلي بعد إلحاح شديد من أقاربهالمسلمين أن يلجأ إلى الطلاق. فحلّت على بيته سحابة قاتمة. وحدث ذات يومأن جاء لزيارة جليلي أخ مسيحي يُدعى منصور سنغ وركعا معاً للصلاة، وقالمنصور: «أنت شخص مسيحي، وكما غفر لك الله ينبغي أن تغفر لها وتعيدها إلىالبيت!» وشعر جليلي أن هذا أمر من الرب فأطاع. وبعد ذلكأُعيد قران الزوجينفي زواج مسيحي في خدمة خاصة بالكنيسة.

في شهر أغسطس (آب) عام ١٩٣٨ كتب أحدهم عن جليلي ما يأتي: «إنقيل عن أي شخص إنه تجدد حقاً ووُلد الولادة الثانية، يكون جليلي هو هذاالشخص، ففي خلال الثماني السنوات الماضية كان مثالًا عجيباً لما يستطيعأن يفعله المسيح لشخصٍ مسلم. إنه يشغل منصباً هاماً في الخدمة العامة حيثيلقى كل ثقة واحترام. لكن هدف حياته وبهجتها هما في خدمة المسيحوكنيسته. هو شيخ مكرم، وقائد للعمل الكرازي في الكنيسة، ولم أسمع قطأي شخص يشك أو يتساءل عن حقيقة إيمانه المسيحي وحياته المسيحية. إنهقديس إيراني حقيقي. لقد جُرب وامتُحن بأقسىما يكون الامتحان، فأظهر محبةالمسيح بشكل يندر وجوده بين المسيحيين في أي مكان. ما أعظم البركاتالتي يغمرنا جميعنا بها هذا الرجل الفاضل!»

ولكن بينما كان جليلي الوالد ينمو باستمرارإلى حياة التشبُّه بالمسيح، كان الابنالذي أتى به إلى الكنيسة (منذ ثماني سنوات مضت) ينزلق وينحدر ويهوي. كانشاباً موهوباً طموحاً جداً. وكان يحب المسيح، لكن أدرك أنه إذا اعتمدواعترف بإيمانه علناً فإنه لن يصل إلى المركزالسامي الذي يصبو إليه. ولهذا حاولأن يلعب على الحبلين، بأن يمسك بالمسيح بيد واحدة، وبالعالم باليد الأخرى،فرفض المعمودية وكفَّ عن حضور الكنيسة، ووجَّه كل همه نحو التمسكبالعالم. كتب كتاباً جذب الأنظار إليه، وحصل على مركز عظيم، لكن والدهحزن عليه كثيراً، لأنه ذهب إلى كورة بعيدة. وفجأة أُصيب الابن بالمرض، وقالالطبيب إنه مرض خطير. وهنا يقول أحد أصدقائه: «ذهبتُ لزيارته ووجدته فيحالة مؤلمة من الهزال والنحافة،ولكنه حيّاني بابتسامة، وحالما جلست بجانبه قال: أنا ضعيف جداًفي جسمي وفي روحي، وأحتاج إلى المعونة!.. ولم أكن في حاجة أن أسأله عنأي شيء، فقد كان واضحاً أن الابن الضالقد اتجه راجعاً نحو البيت. أكدت له غفرانالله، وذكرته أن دم ابن الله يطهرنا من كل خطية، وأخبرته أن يلقي كل حملهعند قدمي المسيح فيجد راحة لنفسه. ثم صلينا، صلى هو، وصلى أبوه وصليت أنا.وعدت لزيارته بعد يومين، فوجدته بدأ يتحسن ... وأخبرني بعزمه أن يعودإلى الكنيسة حالما يستطيع ذلك، وأن يعتمد ويقوم بعمل نشيط في الكنيسةوقال: ما أعظم أن يكون الإنسان مع إخوته المسيحيين وأن يعمل معهم فيخدمة الله ...لكن «جاهانفر جليلي» لم يحظ قط بالفرصةالتي كان يتمناها لخدمة الله فيالكنيسة، بل ظل يزداد ضعفاً. وفي ربيع عام ١٩٣٩ مات واضعاً ثقته فيالمسيح. وكانموته مؤسفاً جداً، فقد كان موهوباًككاتب عظيم. وكان يمكن ان يقدم خدمة كبرى بقلمه لعمل المسيح فيإيران. وقد تحطمت قلوب أفراد أسرته. لكن والده احتمل هذا الحزن بثباتعجيب وثقة مدهشة لا يمكن أن يمنحها إلا المسيح».

عندما بلغ جليلي سن الستين، كان يتلهف أن يكرس كل وقته لخدمة سيدهفطلب من وزارة المالية أن تحيله إلى التقاعد بعد أن خدمها سنوات عديدة. وقدأجابت الوزارة طلبه ومُنح معاشاً، فأصبح عندذلك حراً وقادراً أن ينفق وقتاً أطولفي غرفة القراءة يكلم الطالبين والراغبين في استزادة المعرفة، وفي الشوارعأيضاً يبيع الكتب المسيحية. وكثيراً ما كان يرافق المبشرين في رحلاتهمإلى مدن الإقليم. ولما كان المرسلون يذهبون إلى مكاتب الحكومة لمقابلةالمسلمين وبيع بعض الكتب المسيحية لهم، كان الموظفون في أغلب الأحيانيعرفون جليلي أو أبناءه، وكانوا دائماً يرحبون به بلطف، وكانواعادة يشترون الكثير من كتبه. ولم يقصر قط في أثناء زياراته في تقديم شهادتهعن يسوع المسيح ربه. ومع أن المسلمين غالباً ينفرون من قول المسيحيين عنمخلّصهم إنه «ابن الله» إلا أن جليليكان دائماً يفتخر بأن يدعو المسيح «ابن الله الوحيد»، وكان السامعونيشعرون بإخلاصه العميق فنادراً ما كانوا يعترضون.

صار جليلي في تلك الفترة من قادة الكنيسة الإنجيلية الموثوقبهم في إيران. وكثيراً ما كان يتكلم من المنبر لا سيما في خدمات مساءالأحد الكرازية. لم يكن واعظاً فصيحاً، لكن السامعين كانوا دائماً يتأثرونمن غيرته وتكريسه التام للمسيح. وقد دعته لجنة الكرازة أن يكون كارزاًعلمانياً، فقبل الدعوة بسرور، وظل دائباًفي جهوده لتقديم بشارة الخلاص وأخبارهالسارة لبني وطنه.

أما أخت «جاهانفر» فكانت متعلقة به شديدة الولاء له، وفي مرضه الأخيراعترفتبإيمانها بالمسيح لكنها لم تطلب العماد. وفي الأعوام الثمانية التي تلت ذلكلم تُبد رغبة حقيقية في أن تصبح مسيحية. وفي كل ذلك الوقت ظل والدهايصلي من أجلها. وفي شهر أبريل(نيسان) عام ١٩٤٧ استُجيبت صلواته وقد كتب أحد القسوسعن هذا يقول: «جاءت عكوة جليلي ابنة المبشر القديس في الكنيسةتزورني ذات صباح، وقالت لي إنها تريد أن تصير مسيحية. واعترفَت أنها لم تكن مسرورة عندما صار والدها مسيحياً منذ ستة عشر عاماً،وكثيراً ما تكلمت ضده بكلمات قاسية، لكنها رأت منذ وقت قصير مضى شيئاً غيَّرموقفها تماماً، فقد حدث أن أحدهم كلّم والدها كلمات نابية وهيموجودة وسامعة، وظل ينطق بكلام قاس وتهم باطلة، لكن والدها احتمل بروحمسيحي وصبر ووداعة، ولم يرد بكلمة واحدة. وقالت:وكان هذا أكثر جداً مما أتصور، لأني لم أرَ قط روحاً نبيلًامثل هذا. إن أبي فقير أما أنا فغنية، وعندي كل ما يتمناه الإنسان ويشتهيه،لكن ليس لي صبر والدي ولا صفحه. أنا لست سعيدة وأريدأن أحصل على ما عندهو. لذلك جئت إليك لترشدني إلى المسيح حتى أضع يدي في يده، عسى أنأصير مثل والدي العزيز ... وتكلمنا معاً لمدة ساعة عن المسيح وعن والدها، وإذكانت الدموع تنساب من عينيها اعترفت بخطاياها وطلبت من الله الصفحوالغفران، وسلمت حياتها للمسيح.وقد تهلل قلب جليلي

لأن ابنته جاءت للمسيح وتعمدت وخدمتالمسيح بفرح وأمانة إلى وقت موتها بعد سنوات قليلة».

أما عبد الله جليلي وهو أخ أكبر لجاهانفر فكان مدرساً محترماً للغةالفرنسيةفي طهران. وذات صباح استيقظ مبكراً ليذهب إلى موعد، وفيما هو يعبر الشارعصدمته سيارة فمات. وحيث أنه كان مسلماً فقدأُخذ جثمانه فوراً إلى مسجد لخدمةالجناز. وقد جاء أحدهم إلى جليلي وقال له: «أرجو أن تأتي فوراً معي إلىالمسجد». فذهب وهو لا يعلم السبب، ولكنه شعر أنه لا بد أن يكون قد حدثأمر خطير، فدخل المسجد ووجد جمعاً كبيراً محتشداً فيه. عندئذ أخبره أحدهمأن هذا جناز ابنه عبد الله. فصُعق من الخبر المفاجئ المحزن. فكيف يحتملصدمة مباغتة كهذه؟ لكن في الحال جاءته هذه الكلمات «لا تضطرب قلوبكمولا ترهب. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي – تعالوإليَّ ... وأنا أريحكم». ونظرإلى المسيح فوجد سلاماً وقوة حتى اندهش كل الذين رأوه وتأملوا في ثباته.بعد أيام قليلة أُقيمت حفلة تذكارية لعبد الله جليلي في قاعة وزارة التربيةحضرها الوالد الحزين وكان أحد المتكلمين فيها، وقدم شهادته كشخصمسيحي أمام عدد كبير من أصدقاء ابنه وزملائه، ولما أنهى كلمته وقف وزيرالتربية وهو مسلم وقال: «هذا الأب رجل إيمان، وهذا هو السببالأكبر لثباته العظيم ورباطة جأشه في حزنه». وكثيراً ما أشار جليلي فيالسنوات التالية لاختباره هذا كمثال لما يعنيه له المسيح في أحزانهالكثيرة.

عيّن سنودس الكنيسة الإنجيلية لجنة لوضع برنامج تدريبي للكارزين.وفي صيف ١٩٤٨ صرف عدد من الرجال والنساء أربعة شهور في دراسةموضوع «الكرازة»وللصلاة والإعداد لتوصيل بشارة الإنجيل لإيران. وظل التدريب يُمارس فيصيف السنوات التالية حتى جاء عام ١٩٥٠ حين تخرج أول صف ونالالمتخرجون شهاداتهم ومن بينهم جليلي.

كان جليلي أكبر الطلاب سناً، ومن أشدهم حماساً في هذه الدراسة. وقداشتغل بكل جد وقوة وحفظ غيباً آيات من الكتاب المقدس بأمانة كما فعلأصغر الطلاب سناً. وكان من الصعب منعه عن كنس غرفة الطعام وحمل دلوالماء إلى المطبخ. وكان يحسب وجوده في هذه الرابطة السعيدة كأنه في السماء، كما كان وجوده بركة لكل شخص آخر. وذات يوم جاءتابنته لتودعه قبل سفرها إلى أمريكا لرؤية ابنها وكان طالباً بكاليفورنيا. ووقفت بجانب والدها والدموع تنهمر على خديها وقالت إن حياتهالمقدسة هي التي قادتها إلى المسيح. وتأثر الجميع أعمق تأثر.

في نفس السنة التي تخرج جليلي فيها تمتع بفرصة العودة إلى تبريز التيلميكن قد رآها منذ أيام طفولته. وهناك في مسقط رأسه أتيحت له الفرصة أنيقدم شهادته عن حقيقة ولادته الجديدة في المسيح. وفيما هو هناككتب ونشر على نفقته الخاصة كتيباً باللغة الفارسية عنوانه «أخبارالخلاص السارة» فيه وصف حياته الأولى، وتجديده، وخدمته كمسيحي، وختمهبهذه العبارة «أشكر الله أنه منحني هذه الفرصة لآتي إلى مسقط رأسي وأقدمالأخبار السارة عن يسوع المسيح بواسطة كلمتي هذه لمواطنيّ الأعزاء. محمودجليلي».

بينما كان جليلي في تبريز تاقت نفسه أن يرى أقاربه على أمل أن يقودهمإلى المسيح، لكنهم لم يرضوا أن يتقابلوا مع ابن عمهم لأنه صار كافراً، ولكنطبيباً شاباً وآخرين من تبريز جذبهم جليلي بروحه المحب، وعن طريقه جاءوإلى المسيح.

يقع على شمال جبال البورتز أقليم مزرديران الكبير الذي يمتد أميالاًعديدة على الشاطئ الجنوبي من بحر قزوين، ولم يكن في هذا الإقليم أي مركز دائملأية مرسلية، رغم أن عدداً كبيراً من المرسلين زاروا تلك البقاع مراراً، وجاءإلى مدنها الكبيرة كارزون وأطباء من طهران. وأبدى جليلي اهتماماً خاصاًبمزرديران، فزارها مرة بعد أخرى تارة منفرداً وطوراً بصحبة واحد أو أكثر منالإخوة المسيحيين. وكان الموظفون في المدن يعاملون هذا الكارز المحبوبمودة واحترام وأصبح معروفاً تماماً في كل الإقليم. ومن المدهش أن طلبةالمدرسة الثانوية أحبوا هذا الرجل العجوز وانجذبوا إليه.فحالما كان يصل إلى المدينة كان الأولاد يأتون إلى غرفته في الفندقأفراداً وجماعات ويستمعون بتلهف إلى رسالة يسوع المسيح.

وروى أحد القسوس الاختبار التالي:«حدث أن طالباً بالمدرسة الثانويةفي بابول كان قد تعرف بجليلي منذ عدة سنوات وأراد أن يصير مسيحياً.فأحضر صديقاً آخر، وأحضر الاثنان آخرين حتى زاد عددهم عن مئةطالب في مدرسة حكومية واحدة، وكانوا كلهم يريدون أن يصيروا مسيحيين،ولم يكن هناك أحد يستطيع أن يقدم لهم تعليماً منتظماً، وكان عدد كبير منهملا يفهمون إلا أقل القليل عن معنى أنيكون الإنسان مسيحياً. ولكن لم يحدث قط فيأية مدرسة في إيران، ولا في مدارسنا المرسلية سابقاً مثل هذا العدد منالطلاب المسلمين يقولون إنهم يريدون أن يصيروا مسيحيين. وكان من المناسبأن نؤجّل عمادهم إلى أن نتحقق من إخلاص إيمانهم، ولم يعمد أحد منهم إلابعد ثلاث سنوات.وليتك كنت حاضراً معنا عندما أُقيمت خدمة صغيرة حول المائدة فيغرفة بالمدرسة في بابول حينما تعمّد أول شابين من هؤلاءالطلبة! لقد اعترفا بإيمانهما جهراً بدون خوف ولا وجل أمام عائلاتهموزملائهم الطلبة، وقاد كل واحد منهم عدداً من أصدقائه لقبول المسيح، وكانواقدانتظروا تحت الاختبار ثلاث سنين قبل العماد – وكم كان سروري طاغياً وأناأقبلهم وأرحب بهم في عضوية الكنيسة أمام أستاذهم الفرنسي، وهوكاثوليكي، والمبشر جليلي ونكبور. وكلهم قد تناولوا عشاء الرب معاً، واشتركمعنا الأستاذ الكاثوليكي بسرور. هؤلاء الجنود الصغار للمسيح يثقون أن عدداًكبيراً من زملائهم الآخرين سينالون المعمودية بعد وقت قصير.وفي الليلة التالية حضر عشرون رجلاً علىالأقل إلى غرفتي بالفندق، وظلوا يستمعون بشوق إلى «عكوه جليلي» وهيتحدثهم عن الحياة الجديدة التي نالتها من المسيح، وصرح كثيرون منهمجهاراً أنهم يؤمنون بالمسيح».

لما تقاعد جليلي مرة أخرى منحه مجلس الكرازة معاشاً صغيراً فظل يقومبخدماته في الكنيسة وفي غرفة القراءة متطوعاً، فقد كانت هذه حياته وكانمصمماً أن يقدم كل ما عنده لسيده. ولما تقرر قفل غرفة القراءة في ليالي السبتغيّر ميعاد الاجتماع في بيته من الإثنين إلى السبت. وأدخل على برنامجالاجتماع عنصراً جديداً، فقد خطر بباله أنه وهو صبي أخذ دروساً فياللعب على الطار وسأل نفسههل يستطيع بعد كل السنين الطويلة أنيستعيد مهارته، فاشترى طاراً وسُرّ إذ وجد نفسه يستطيع أن يلعب على أوتاره.وحيث أن كل شيء في حياته أصبح مكرساً للرب فقد كرس الطارأيضاً لخدمة الرب، فلما جاء أصدقاؤه إلى بيته مساء السبت طلب منهم جليليأن يرنّموا ألحاناً وهو يلعبها على الطار. وسُر أصدقاؤه وهم يرنمونالألحان باللغة الفارسية، سواء انسجموا مع نغمة الطار أم لم ينسجموا. وكانجليلي وهو يعزف كأنه قد انتقل إلى عالم آخر بالموسيقى، وسكب كل نفسهفي عزفه، سواء كان اللحن «قف مع يسوع» أو «ليس أحلى منها ساعةالصلاة لله». ربما هذا لم يعجب قائد الترنيم في الكنيسة، لكن جليليوأصدقاءه كانوا في غاية الاغتباط وهم يهتفون للرب وشعروا بسرور أكيد.

في أعوام حياته الأخيرة بدأ نظره يضعف وبدأت صحته تتدهور، فوجدتعزيتهالعظمى في الصلاة. لقد كان رجل صلاة منذ تجدد، وظلت عادته سنين أنيصلي لأجل أصدقائه بأسمائهم كل صباح. ولما بلغ السبعين من عمرهاهتم كثيراً بابنٍ صغير لأحد المرسلين، وكان يصلي لأجل «ستيف» كل يومسنين عديدة. ولما دخل مدرسة الكرازة عام ١٩٤٨ قرأ مقالة في مجلة كنسيةتتحدث عن شاب مبشر مدهشاستخدمه الله بقوة في اجتماعات كبرى

عُقدتفي كالفورنيا. وطرب قلبه جداً وبدأ يصلي يومياً منأجل اجتماعات بليغراهام. وبعد سنين سمع الدكتور غراهام عن رجل الله الذي يصلي بأمانةلأجله فأرسل له خطاب شكر كان جليلي يقدِّره أعمق تقدير.

كان جليلي أيضاً يُسر أن يتسلم رسائل من أصدقائه، وكان دائماً يردعليهافوراً. وكان أصدقاؤه الإيرانيون يتندرون عن خطه باللغة الفارسية فكانوايقولون إن خطه بديع بحيث لا يستطيع أحد أن يقرأه، وصدقت هذه الفكاهة معمعظم أصدقائه المرسلين، لذلك اشترى آلة كاتبة إنكليزية واستخدمها عدةسنين في مراسلاته مع أصدقائه الناطقين باللغة الإنكليزية. ولما كانت معرفتهباللغة الإنكليزية محدودة، فكثيراً ما كان يخلط بين اللغتين الإنكليزيةوالفرنسية، ولم يتقن قط فن الطباعة على الآلة الكاتبة، ولم تكن آلتهالكاتبة من النوع الممتاز، لكن الرسائل المكتوبة عليهاكانت مثل كاتبها، مفعمةًبالمحبة لأصدقائه والشكر لربه. ولما كان الجنود الأمريكيون في إيران فيأثناء الحرب العالمية الثانية صار بعض المسيحيين منهم أصدقاء مقرّبينلجليلي، وكثيراً ما ذهبوا إلى بيته. وبعد انتهاء الحرب ظلعدد قليل منهميحتفظون بأواصر الصداقة معه بالمراسلة، وكان جليلي بين آن وآخر يعلنبغبطة «لقد تسلمت اليوم خطاباً من كلايد بأوهايو».

منذ عدة سنوات مضت كان خادم كنيسة الجالية الأمريكية بطهران يعظ فييوم أحد، فذكر للحاضرين (ومعظمهم كانوا يعملونفي وظائف حكومية أو مشروعات يقوم بها رجال الأعمال في إيران) قصة تجديدجليلي، ثم قال: «إن الرجل الذي كلّمتكم عنه حاضر معنا هنا الآن، وأناأرجو السيد جليلي أن يأتي إلى المنبر ويذكر كلمة عن نفسه». فقام جليليالرجل القصير القامة الأصلع الرأس، وسار من مقعده الخلفي في الكنيسة إلىالمنبر وبلغته الإنكليزية «المكسَّرة» قدم شهادته المسيحية. وأشار إلىأن ديانته السابقة لم تقدم لقلبه السلام والفرح، لكن الله جاء إليه فيالمسيح وخلصه. وأضاف جليلي قائلًا: «لما كنتُ مسلماً ظننت أني أعرف الله،لكني لم أكن أعرفه. إنما عرفت الله عندما رأيته في المسيح».

{٨٥و١}فإن كان أحد الحاضرين قد ظن من قبل أن الإسلام كافٍ للذينيعتنقونه، أو أنه لا يمكن لشخص مسلم متعبد أن يصير مسيحياً، فلا بد أن يكونقد فهم بعد كلمة «جليلي» تفرُّد الإيمان المسيحي،وأنه لا يمكن الاستغناء عنه أوالاستعاضة بغيره، وذلك من وجه جليلي المشع بالضياءوهو يتحدث عن المسيح، ويقدمشهادته ببساطة عن القوة غير المنظورة التي غيرت حياته. إن جليلي وأمثالهممن جاءوا من الإسلام إلى الشركة المسيحية عرفوا أن المسيح هو وحدهالطريق وليس سواه. وإنجيل المسيح هو قوة الله للخلاص «وليس اسم آخرتحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أعمال ٤:١٢).

لقد ظل جليلي إلى آخر حياته يذهب ماشياً في شوارع إيران المزدحمةلحضور اجتماعات الكنيسة كل يوم أحد ويوم أربعاء، رغم ضعف بصره المتزايدحتى عمي تقريباً. وقد نال محمود جليلي إكليله يوم ٣ يناير (ك٢) سنة١٩٦٩ ووري جسده ليستريح في المدافن المسيحية بقرب قبر ابنته، وانضم إلى جماعة المفديين الممجدين الذي يعظم انتصارهم بقوة يسوع المسيح.

لمسابقة

أيها القارئ العزيز،

إن تعمقت في قراءة هذا الكتاب تستطيع أن تجاوب على الأسئلةبسهولة. ونحن مستعدون أن نرسل لك أحد كتبنا الروحية جائزة علىاجتهادك. لا تنسَ أن تكتب اسمك وعنوانك كاملاً عند إرسال إجابتكإلينا.

١ – ما الذي قاله محمود جليلي في مسجد الشاه في أصفهان؟

٢ – ما الذي جعل محمود جليلي يرسل ولده ليتعلم في كليةالبورتز؟

٣ – ما الذي جعل جليلي يقبل المسيح مخلّصاً؟

٤ – لماذا لم يطردوا جليلي من عمله بعد تنصيره؟

٥ – لماذا طلبت عكوة جليلي المعمودية؟

٦ – ما هو موضوع كتاب «أخبار الخلاص السارة»؟

٧ – من اختبار جليلي، كيف تبرهن صحَّة ما جاء في أعمال٤:١٢؟

أرسل أجوبتك بخط واضح وعنوان كامل إلى:

The Good Way ● P.O.Box 66 ● CH-8486 Rikon ● SWITZERLAND